

مجلة الشهاب • المجلد: 07، العدد: 03 (2021م) • ص ص 605 - 626
(ISSN: 2477-9954, EISSN: 2602-5485)

دور المستشرقين الفرنسيين في حملة نابليون بونابرت على مصر 1798م

The Role of the French The Role of Orientalists in the Napoleon Bonaparte Campaign in Egypt 1798AD

عائشة سلمي *
كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر1 بن يوسف بن خدة (الجزائر)
aichasalem05@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/08/24 تاريخ القبول: 2021/09/14 تاريخ النشر: 2021/11/14



ملخص: يستظهر الموضوع دور المستشرقين الفرنسيين في الحملة التي قادها نابليون بونابرت على مصر في نهاية القرن الثامن عشر، مبرزا أسباب ذلك، التي تعلقت بواقع مصر السياسي، والاقتصادي، والثقافي، وساهمت في تطلع فرنسا كأهم دولة أوربية، إلى مصر كأهم إيالة في الخلافة العثمانية، من حيث الموقع الاستراتيجي والتجاري الرابط بين الشرق والغرب، وقد توزعت أدوار المستشرقين الفرنسيين في الحملة على مختلف الميادين والمجالات حسب تخصص واهتمام وغاية كل مستشرق، وحسب مكانته ووظيفته لدى قيادة الحملة، تلك الأدوار كانت بيانا ضمنيا لوجه الاستشراق الاستعماري التسلطي، والنفوذي التوسعي على الآخر المختلف، كما كانت بيانا لمساهمة أولئك المستشرقين في صناعة وعي ويقظة المصريين والمسلمين عموما، بما نقلوه من علوم ومفاهيم وأفكار مختلفة، سواء كان ما نقلوه إيجابيا أو سلبيا.

الكلمات المفتاحية: حملة؛ الاستشراق؛ مصر.

Abstract : The topic shows the role of the French orientalists in Napoleon's campaign on Egypt lately in the eighteenth century, highlighting the reasons that concerning the Egyptian political economic and cultural reality and made France - as the vital country in Europe - contributed to Egypt -as a crucial regency to the Ottomans - in terms of the strategic and commercial position that related the east to the west.
The roles of the French orientalists had been distributed on different fields depending on their specialty and concern , according to their position and function to the leaders. The research shows the ugly truth of the colonial, authoritarian ,influential and expansionary Orientalism. It also shows the contribution of those orientalists to the making of the awareness and vigilance of Egyptians and Muslims in general, with their different sciences, concepts and ideas, whether positive or negative.

Keywords: Ccampaign ; Orientals ; Egypt.

* المؤلف المراسل.

1. مقدمة:

منذ أن وطئت قدم الإنسان هذه الأرض، سعى للمعرفة والاستكشاف والتطور والسيطرة على كل ما حوله من مخلوقات توازيه في الخلقة أو دونه، فرتّب لتحقيق ذلك وسائل ومناهج وخطط، ولعل الاستشراق هو أحد أهم تلك الوسائل، الاستشراق بمفهومه الشاسع الذي هو نحوٌ للآخر مهما كان دين، وثقافة، ولغة، وعادات، وموقع هذا الآخر.

وتمثل الحملة الفرنسية على مصر في نهاية القرن الثامن عشر وحتى بداية القرن التاسع عشر، شكلا من أشكال ذلك النحو للآخر، حيث تمثل حدثا مفصليا مهما مؤثرا في الغرب بنفس تأثيره في الشرق، تأثير في الشرق على كل الأصعدة والمجالات والميادين، عبر عنه بعض الباحثين بأنه كان ناقوس وآذان جعل المصريين والمسلمين عموما ينتبهون إلى وضعهم وحالهم ومكانتهم في ركب الأمم، وعرف المصريون خلال السنوات التي عايشوا فيها الفرنسيين الفرق بين أوربا الصناعية الثائرة على الحكومات الملكية، أوربا التطور السياسي، والتقدم الاقتصادي، والتنوع الثقافي، أوربا الصاعدة إلى درجة العالم الأول، وبين الشرق العربي والإسلامي الذي تُحكم السيطرة عليه الخلافة العثمانية بكل ما فيها من نقائص ومساوئ وسلبيات، عالم عربي- إسلامي انحطّ إلى دركات العالم الثالث، ومزال إلى يومنا هذا.

بالمقابل، الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798م ما هي إلا شكل من أشكال الرغبة في الاكتشاف والمعرفة والسيطرة في نفس الوقت، وجه من أوجه الاستغلال للمقدرات واستنزافها، فلعب المستشرقون الفرنسيون فيها أدوارا مختلفة ومهمة، أدوار التمهيد لها وتثبيتها ونشرها في كل أرض مصر، وأدوارا أخرى في نهايتها وجلائها عن مصر لاحقا.

فكيف ساهم المستشرقون الفرنسيون في التمهيد لحملة نابليون بونابرت على مصر سنة 1798م؟ وكيف كان دورهم ابتداءً في زرع الفكرة ثم تحويلها إلى حقيقة وواقع انتهاءً؟ وماهي مجالات وميادين تلك الأدوار التي تميز بها أولئك المستشرقون الفرنسيون؟.

يسعى هذا البحث للإجابة على تلك الإشكالية، كما يسعى إلى معرفة نتائج وآثار تلك الحملة على مصر، وكيف ساهمت في إيقاظ القومية لدى المصريين والمسلمين عموما، وكذلك إلى بيان الوجه الآخر للاستشراق والمستشرقين، الوجه الاستعماري، الإمبريالي والسلطوي، التوسعي، الاستغلالي لكل ما عند الآخر من موارد، وإرث، وكنوز، ومخلفات تراكمية منذ أمد بعيد.

وقد تم إتباع المنهج التاريخي الوصفي، تناسبا مع طبيعة البحث التاريخية، مع الاستعانة بأداتي التحليل والنقد لمختلف الأفكار الواردة في البحث.

وللإجابة على إشكالية البحث، تم التأسيس للخطة التالية:

مقدمة: وفيها ذكر تمهيد للموضوع، وبيان أهميته، والإشكالية، والخطة المتبعة في الإجابة عليها.

المبحث الأول: تحديد المفاهيم.

المبحث الثاني: أوضاع مصر قبل حملة نابليون بونابرت سنة 1798م.

المبحث الثالث: فكرة الحملة الفرنسية على مصر، والتجهيز لها.

المبحث الرابع: دور المستشرقين الفرنسيين في الحملة على مصر.

خاتمة : وفيها تم وضع أهم النتائج المتوصل إليها، بالإضافة إلى التوصيات.

2. المبحث الأول: تحديد المفاهيم

2. 1. المطلب الأول: تعريف الاستشراق

لغة: الشَّرْقُ، حيث تشرق الشمس، الأخذ في ناحية الشرق، جمع شُرُقٌ[1]، التَشْرِيقُ: الأخذ من ناحية المشرق، شَرَّقُوا، ذهبوا من الشرق أو أتوا الشرق[2]

اصطلاحا: الاستشراق هو: «دراسات تراث ولغات شعوب الشرق، وحضارتهم، ومجتمعهم، وتاريخهم..، وأطلق على من يهتم بتلك الدراسات الشرقية، اسم مستشرق»[3]

ومنه، فالاستشراق هو كل دراسة أو اهتمام أو بحث متعلق بشعوب الشرق، وثقافاتهم، وأديانهم، وتراثهم الثقافي، ووضعهم الاجتماعي والسياسي، وإرثهم الحضاري؛ فالاستشراق اتجاه للشرق بكل ما فيه.

2. 2. المطلب الثاني : تعريف مدرسة الاستشراق الفرنسي

تعدّ مدرسة الاستشراق الفرنسي، من أقدم وأعرق مدارس الاستشراق الأوربية، ومن أوائل المدارس التي اهتمت بعلوم الشرق وأديانه وثقافته.

والاستشراق الفرنسي من الاستشراقات المميزة في تاريخ حركة الاستشراق؛ ذلك أن فرنسا من أكبر الدول تفاعلا مع المسلمين، فقد جابهتهم أثناء الفتوحات، وتزعمت الغرب أثناء الحملة الصليبية، واحتلت أراضيهم أثناء الاستعمار، وتتجاذبها معهم مصالح في الحاضر، ضف إلى ذلك مجاورتها لهم في الضفة الأخرى من البحر الأبيض المتوسط[4].

فالمدرسة الاستشراقية في فرنسا من أبرز المدارس الاستشراقية، وأغناها، وأخصبها، بسبب العلاقات الوثيقة التي تربط فرنسا بالعالم العربي والإسلامي قديما وحديثا[5].

2. 3. المطلب الثالث: تعريف الحملة الفرنسية

تعتبر الحملة الفرنسية على مصر، أول محاولة استعمارية (بالمعنى الحديث) في قلب العالم العربي، وأول احتكاك مباشر بين نمط حضاري متحرك ومتطور (النمط الأوربي)، وبين نمط آخر يعيش العزلة والركود (النمط العربي)[6].

الحملة الفرنسية هي دور من أدوار التنازع الذي قام بين فرنسا وإنجلترا على الفتح والاستعمار، ذلك التنازع الذي يرجع إلى القرن السابع عشر واستمر خلال القرن الثامن عشر، ثم اتخذ طورا جديدا بعد

الانقلاب العظيم المعروف بالثورة الفرنسية[7]، ويؤكد المؤرخون أن الحملة الفرنسية هي مرحلة من مراحل التسابق على الفتح والاستعمار بين فرنسا وإنجلترا منذ القرن السابع عشر، وقد تطور التسابق بين الدولتين على إثر الثورة الفرنسية[8]، حيث استطاعت جيوش فرنسا بقيادة نابليون بونابرت[9] أن تخضع أوربا، في حين ظلت إنجلترا بعيدة عن انتصارات وسيطرة نابليون، ومن هنا برزت فكرة احتلال مصر كخطوة أولى نحو احتلال الهند، بقصد ضرب إنجلترا في مستعمراتها[10]

3. **المبحث الثاني**: **أوضاع مصر قبل حملة نابليون بونابرت سنة** 1798

سبقت الحملة الفرنسية على مصر أوضاعا محلية، يمكن اعتبارها أسبابا داخلية ساعدت على نشوء حملة نابليون بونابرت، أسباب ضعف وتردي وتراجع؛ ما فتح الأطماع الخارجية على مصر، وتتفرع تلك الأوضاع المصرية الداخلية إلى ما يلي:

3. 1. **المطلب الأول**: **الوضع السياسي**

منذ سنة 1517م دخلت مصر تحت سلطة الخلافة العثمانية، وبعد أن تمَّ للسلطان سليم الأول[11] فتح مصر، وضع لإدارتها نظامًا يكفُل بقاء خضوعها، فأودع مقاليدَ حكمها ثلاثة سلطات أو هيئات، هي: الوالي، رؤساء الجند، المماليك[12]:

الوالي: يلقب بالباشا، وهو نائب السلطان العثماني في البلاد، وأهم أعماله: إيصال الأوامر التي ترد عليه من السلطان إلى عُمَّال الحكومة ومراقبة تنفيذها، مدة حكمه سنة واحدة ما لم يصدر فرمان بتجديدها[13].

جيش الحامية: وقد كوَّنه السلطان سليم الأول من ستة فِرَق ونصَّب عليهم قائدًا، وجعل على كل فرقة ستة من الضباط، وشكَّل من هؤلاء الضباط مجلسًا أو ديوانا يساعد الوالي في إدارة شئون البلاد، وجعل لهذا الديوان الحقَّ في رفض مشروعات الوالي إذا لم يَرَ فيها مصلحة؛ فهو بمثابة البرلمان.

المماليك: هي السلطة الثالثة التي تحفظ التوازن بين السلطتين السابقتين، وهم سلطة الأمراء المماليك الذين قدموا طاعتهم للسلطان العثماني[14]، ونصَّبهم على المديريات أو المحافظات التي كانت تتكوَّن منها البلاد؛ وهم بمثابة رؤساء الدوائر أو الولاة.

3. 2. **المطلب الثاني** : **الوضع الاقتصادي**

لم يكن النظام المالي الاقتصادي في مصر بأفضل من النظام السياسي، فقد كان السلطان العثماني مالكا لأراضي مصر، وصاحب الأرض لا يملك رقبتها ولا الانتفاع بها، حتى إذا مات آلت أملاكه إلى الحكومة ولورثته حق ردها إلى حوزتهم لقاء مبلغ معين تقدره أهواء الولاة، فصار معظم أراضي مصر مقسمة بينهم[15]، وقد شهدت مصر بين عامي 1760م– 1770م أزمة اقتصادية حادة بسبب تدفق المنتجات الأوربية إلى الشرق؛ مما أدى إلى إضعاف الناتج المحلي، ذلك أن المنتج الأوربي تميز بالنوعية وقلة التكلفة، فضلا عن التفوق التجاري؛ ما أدى إلى تكدس المنتجات المحلية وحرمان تصريفها وتلفها؛ ما يعني إضعاف الاقتصاد الوطني[16]، ويتجلى في الوضع الاقتصادي ثلاث محاور أساسية هي واجهته وبها تُعرف حقيقة هذا الواقع:

الصناعة: كان المجتمع آنذاك مقسما إلى طوائف وهيئات تتولى كل طائفة منها تدبير أمورها بنفسها والدفاع عن مصالحها وجلب حقوقها (مثل النقابات اليوم)، وكان أصحاب الحرف الصناعية يطلق عليهم الأصناف، ولكل صنف شيخ يرأسه ويتولى منصبه من الناحية الاسمية عن طريق الانتخاب، ومن الناحية العملية عن طريق الوراثة؛ فالابن يرث أباه في المهنة؛ لذلك احتفظت أسر بهذا المركز لها[17]

ومن مهام هذا الشيخ: تمثيل أفراد طائفته أمام الحاكم، وجمع العوائد والأعطية التي تفرض على الصناع، وله أن يقضي بين المتنازعين من أفراد الطائفة، وأن يراقب السوق...وغيرها، وعموما فقد تأخرت الصناعة وأصبحت فقط مقصورة على عدد قليل من الصناعات الرائجة أهمها، المنسوجات، وصناعة السكر، والزجاج، ودبغ الجلود[18]

ومما ساعد أيضا على تدهور أحوال صناعة مصر، أن السلطان سليم عند رجوعه لبلاده أخذ معه الصّناع المهرة، ونهب ذهب مصر وفضتها، واستولى على أسلحتها وتحفها وخيولها وبغالها، فبطلت بالبلاد حوالي خمسون صناعة حيوية وتعطل أصحابها عن العمل لندرة الصنّاع[19]

التجارة: لما كان المماليك أصحاب السلطة المطلقة في مصر- قبيل ورود الحملة الفرنسية - وقعت في قبضتهم جميع الموانئ وطرق القوافل التي توصل إلى أوروبا متاجر البلاد الهندية وغيرها من بلاد الشرق الأقصى، وبذلك تمكنوا من فرض الضرائب التي يريدونها على كل كمية من البضاعة الهندية التي تمر من طريق البحر الأحمر إلى القاهرة ثم إلى الإسكندرية، وكذلك من طريق الخليج الفارسي إلى البصرة وطريق القوافل فميناء الإسكندرية، لتنقل منها إلى فينيسيا التي كانت واسطة لهم في إيصال المتاجر الشرقية إلى أوروبا، وقد بقي هذا الاحتكار الاقتصادي المُنتج للمال في أيدي المماليك حتى اكتُشف طريق رأس الرجاء الصالح إلى المياه الهندية، وكانت نتيجة هذا التحويل في التجارة الآسيوية من طريق مصر إلى رأس الرجاء الصالح عظيما على إدارة البلاد ونظامها وثروتها، إلى درجة أدت إلى خراب مصر؛ إذ بقي المماليك وبقي بذخهم وبقي تعودهم على الترف والنعيم، وقلّ الوارد من الخارج، فتحولوا إلى امتصاص دماء المصريين حتى أوصلوهم إلى ما يقرب من الفناء[20]، فلم يغيروا من إستراتيجيتهم ولا عقلياتهم التي تعودت الثراء والترف، ولا سارعوا لإيجاد حلول بديلة تحفظ أمن مصر القومي واستقرارها الاقتصادي، فلو أن التجار مثلا فضلوا «إرسال متاجرهم عن طريق البحر الأحمر، ونقلها من السويس إلى الإسكندرية بدلًا من تعرضها لأخطار البحار العظمى حول إفريقية وواسع المحيط الأطلنطيقي» لما تأثرت حاصلات التجارة...زد على ذلك أن مظالم المماليك وتعديهم على التجار الأوروبيين الذين كانوا يأتون لشراء حاصلات مصر، وما يصل إليها من المماليك الشرقية الآسيوية بطريق القوافل، كانت من أكبر الضربات للتجارة وللاقتصاد[21] ما أساء ذلك لسمعة التجارة المصرية وعزوف التجار المرور عن طريقها.

الفلاحة: منذ أن استولى الأتراك على مصر سنة 1517 أصبحت جميع الأراضي ملكا لسلالة آل عثمان، وبهذه النظرية لم تعد الأرض ملكا لأهلها بل للسلطان، بالإضافة إلى ثقلها بالضرائب الواقعة على كاهل

الفلاحين ويجمعها بعض الأفراد الأثرياء من التجار أو الموظفين أو مشايخ العرب[22].

في المقابل لم تكن الحكومة تقدم للفلاح أية خدمة مقابل تلك الضرائب التي تجمعها منهم وعدم توفير حتى الأمن، مما دفع بالمزارعين إلى إهمال الأرض بالرغم من تشكيل طبقة الفلاحين لثلثي السكان آنذاك وهم أفقر الطبقات في البلاد[23].

3. 3. المطلب الثالث: الوضع الاجتماعي

ساد في المجتمع المصري قبيل الحملة الفرنسية وضعا اجتماعيا مزريا تميز بالفقر والطبقية والمجاعة، بلغ بها سكان مصر ثلاثة ملايين نسمة، متكونا من 3 قوميات هي: العرب، والأقباط، والمماليك، وانقسم سكان مصر إلى حكام ومحكومين؛ طبقة فوقية وهي الأقلية -الأتراك والمماليك- ، وطبقة تحتية وهي الأغلبية (المشايخ وعلماء الأزهر والتجار والفلاحين والصناع)[24] ، وعموما تكون المجتمع من أربعة طبقات[25]:

العلماء ورجال الشرع: كانت لهم قيادة البلاد سياسيا وأدبيا وزعامتها فكريا.

الملاك والتجار: وهؤلاء كانوا يسكنون المدن وفيهم عدد قليل من الأغنياء.

الزراعيين: وهم الطبقة الأكبر والأكثر عددا في المجتمع وهم غالبية الشعب الذين يعيشون في الفقر والمجاعة والجهل، والطبقة المستهدفة من مظالم الحكام وثقل الضرائب ما جعل زراعتهم في تأخر وتقهقر مستمر.

الصنّاع: هم أيضا من الطبقة الفقيرة الذين يباشرون صناعات صغيرة محدودة الدخل والمعاش، غير تقدمية وغير متطورة ولا تقبل زيادة النمو أو التوسع في وارداتها.

وبسبب تلك الطبقية والتمييز العنصري والوضع الاقتصادي المتردي، فتكت بالبلاد موجات رهيبة من الأوبئة والمجاعات والأمراض في سنوات: 1108ه، 1148ه، 1171ه، 1205ه الموافق ل 1791م وفيه أصيبت البلاد بطاعون فظيع سماه أهل مصر طاعون إسماعيل نسبة للخليفة المملوكي الذي حدث في زمنه الطاعون وبلغ عدد الموتى في اليوم الواحد ألف شخص، وتقلب على الحكومة في اليوم الواحد ثلاثة حكّام[26]، « فلم يبقى للناس شغل إلا الموت وأسبابه، فلا تجد إلا مريضا أو ميتا أو عائدا أو معزيا أو مشيعا أو راجعا من صلاة جنازة أو دفن أو مشغولا في تجهيز ميت أو باكيا على نفسه موهوما، ولا تبطل صلاة الجنائز من المساجد والمصليات، ولا يصلى إلا على أربعة أو خمسة أو ثلاثة... »[27].

3. 4. المطلب الرابع: الوضع الثقافي

الوضع الثقافي هو محصلة ونتيجة حتمية للأوضاع السابقة، فإذا كان نظام الحكم ديمقراطيا عادلا والنظام الاقتصادي متزنا والنظام الاجتماعي مستقرا، انعكس ذلك على الحالة الثقافية للبلد والناس، والعكس صحيح، وفي مصر وكما سبق تتبع الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي يظهر سوء تلك الأوضاع وتدهورها مما جعل مصر سهلة السيطرة والمنال من قبل نابليون بونابرت وحملته العسكرية

والسياسية والثقافية العلمية.

فقد فشا الجهل في البلاد ورزخ الشعب تحت نير العبودية وحرمت البلاد من معاهد العلم والتعليم ولم يبق سوى الجامع الأزهر الذي كان قائما مع بعض المدارس الملحقة بالمساجد وبعض الكتاتيب التي يُنفق عليها من أموال الصدقات والأوقاف، لكنها كانت ضعيفة الأثر في تبديد ظلام الجهل في المجتمع[28]

فالملاحظ أنه منذ غزت السلطنة العثمانية بلاد مصر وحولتها إلى ولاية عثمانية - يحكمها والي عثماني مع بقاء الحكم في الحقيقة بيد المماليك، الذين كان لهم كلمة مسموعة لدى الوالي- أهملت شؤون البلاد إهمالا تاما حتى أناخ الفقر وضرب الجهل والضعف والركود الاقتصادي والفرقة والطبقية بين المصريين، كل ذلك أدى إلى سقوط مصر بيد الجيش الفرنسي باسم الحملة الفرنسية سنة (1797-1801)[29]

4. المبحث الثالث: فكرة الحملة الفرنسية على مصر والتجهيز لها

4. 1. المطلب الأول: ولادة فكرة الحملة الفرنسية على مصر عبر العصور

إن الحملة الفرنسية على مصر لم تكن وليدة سنة 1798م فقط، بل بدأت كفكرة جاشت بعقول وفكر مختلف رجال الثقافة والسياسة من المستشرقين الفرنسيين ثم كبرت شيئا فشيئا ككرة ثلج وصارت أكثر واقعية وسهولة وبساطة خاصة مع تدهور الخلافة العثمانية وانحصار مساحتها وبعد مركز الحكم فيها عن مصر، وتعود فكرة ولادة الحملة على مصر إلى المراحل التالية:

في القرن الثالث عشر تملكت هذه الفكرة مشاعر لويس التاسع[30] ملك فرنسا مدفوعا بالعامل الديني، فجرّد جيشا جرارا للإغارة على مصر ما عُرف في التاريخ "بالحملة الصليبية السابعة" حيث نزل إلى دمياط سنة 1249م، في نحو خمسين ألف من المقاتلة، ثم زحف على المنصورة ليشتبك مع جيوش المسلمين في معركة عُرفت بواقعة المنصورة 1250م انتهت بهزيمة الفرنسيين وأسر لويس التاسع الذي افتدى نفسه وبقية جنوده لاحقا، فخرج من دمياط مهزوما وانتهت تلك الحملة بالخيبة والفشل[31]

ليأتي القرن السابع عشر وبالضبط سنة 1672م ويكون الفيلسوف الألماني ليبنتز[32] أول من وضع مشروعا عظيما ينتزع به من الإمبراطورية العثمانية مقاطعتها المفضلة مصر، فكان بمذكرته لغزو مصر قد أعد مشروعا كاملا تفصيليا يصف فيه الشعب والتحصينات والموارد والنقاط الإستراتيجية وكله رغبة في إقناع الملك لويس الرابع عشر[33] بهذا الغزو، فقدمه له وكأنه نوع من النزهة في البحر الأبيض المتوسط متوجة بالمجد والرخاء قائلا[34]: «إذا كان مولاي يريد القضاء على هولندة، فأحسن وسيلة لذلك هي ضرب هذه الأمة في مصر، هناك حيث يوجد طريق الهند وحيث يمكن تحويل التجارة الهولندية إلى طريق مصر».[35]

وبعد قيام الثورة الفرنسية سنة 1789م وسقوط الملكية، رفع التجار الفرنسيون المتواجدون في مصر شكاويهم إلى الحكومة الجديدة بسوء معاملة الحكام المماليك ليتم تعيين شارل مجالون[36] Magellan قنصلا عاما لفرنسا في مصر، وكان من أنصار فكرة الحملة، فأخذ يرسل التقارير والمذكّرات التي أبان فيها عبث الحكام المماليك بمصالح التجار الفرنسيين، وأن ذلك لا يزول إلا باستخدام قوة الجمهورية الفرنسية

ضدهم مرغبا أكثر بمشروع الحملة مدعما له بالمزايا السياسية والاقتصادية المنالة من ذلك وذهب لفرنسا سنة 1797م وأخذ يدعو رجال الدولة إلى تحقيق هذا المشروع وبين لهم سهولة إنفاذه...قائلا: «إن احتلال مصر يمكن أن يتم بعدد قليل من الرجال – 20 ألف إلى 25 ألف مقاتل- ولا أظن أن الباب العالي – السلطان العثماني- سيغضب غضبا يؤثر على علاقتنا الودية معه لأنه في الواقع لا سلطة فعلية له على المماليك...»[37]، والتقى في هذه الفكرة مع نابليون بونابرت الذي قدم تقريرا لحكومة الديراكتوار[38] استند فيه على تقارير الميسيو شارل مجالون[39]

ليكون القرن 18م، قرن الثورة الصناعية، والتوسع التجاري في أوربا التي تنبهت لأهمية موقع الشرق العربي، مما جعل الأنظار تتجه إلى استعماره، والذي تحكم السيطرة عليه الدولة العثمانية التي أُسلمت للنساء والحاشية وعمّها الفساد وضعف الرقابة وكثرة النزاع؛ وبالتالي إهمال الولايات وشؤونها، ما فتح باب موجة استعمارية أوربية؛ فكانت الحملة الفرنسية [40] على إحدى أهم الإيالات العثمانية موقعا استراتيجيا، ومكانة اقتصادية، وإرثا ثقافيا وتاريخيا كبيرا.

4. 2. المطلب الثاني : التجهيز للحملة الفرنسية على مصر

قررت الحكومة الفرنسية أمر الحملة وعينت نابليون قائدًا عاما على جيشها البري والبحري، وبلغ من أمر التكتم بشأنها أن القواد وكبار الضباط لم يكونوا يعلمون إلى أين هم سائرون، وقد كانت مؤلفة من اثنين وثلاثين ألف جندي من البرية والبحرية[41]، منهم 146 من علماء فرنسا ونوابغها في الرياضيات، والهندسة، والطب، والجغرافيا، والفلك، والأدب، والكيمياء، والاقتصاد السياسي، والآثار، وفن المعمار، والميكانيكا، وطائفة من رجال الفن من المصورين، والرسامين، والموسيقيين...[42]، حيث سهر نابليون على إعداد ما يلزمه من الجند، والسفن الحربية، والمراكب النقَّالة، مصطحبا إلى جانبهم نحو 40 ألف مقاتل، عليهم ضباط من نخبة قواد فرنسا، وأعدّ لها أسطولًا كبيرًا، واصطحب معه كذلك ما لا يقلون عن مائة رجل من أعظم علماء فرنسا في كل علم وفن، وجهَّزهم بالكثير من الكتب والآلات العلمية مما رأى أن يكون له فائدة في الاستكشاف عن حالة مصر خاصةً والشرق عامةً، ومن أهم ما عُني نابليون بإحضاره معه، مطبعة عربية كان للحملة منها فوائد كبرى.[43]

وبذلك أتمّ نابليون الإعداد وأصبحت الحملة جاهزة للتحرك من ثغور جنوى، أجاكسيو، طولون، في جيش ضخم سمي ب: "جيش الشرق"[44].

يقول الدكتور زكريا الشلق: أن حملة نابليون كانت فريدة من نوعها وفي تحضيراتها، إذ كانت تضم نحو 175 عالما في الرياضيات، وعلم الحيوان، والكيمياء، والفلك، والجغرافيا، وهندسة المناجم، والهندسة المعمارية، والرسم، والنحت، وموسيقيين، وفنيي طباعة، ومتخصصين في المتفجرات، وأطباء، وأدباء. كانوا يشكلون كتيبة لغزو معرفي، ولم يكونوا أقل أهمية من الجيش نفسه. ويشار إلى أن نابليون أمر قبل التحرك، بشراء مكتبة تضم 550 مؤلفا أساسيا، إضافة إلى مكتبتين للتاريخ الطبيعي، والفيزياء، ومعمل

للكيمياء، وتم توزيع العلماء على عدة سفن[45]؛ ليعمّ وهج العلم والمعرفة كل الأسطول.

4. 3. المطلب الثالث: وصول حملة نابليون إلى مصر

أقلع نابليون بجيشه في 10 ماي 1798م، ووصل الإسكندرية في الفاتح من يوليو، حيث بدأت قواته الإنزال، وللوصول إلى القاهرة، قسم جيشه إلى قسمين: « سار الأول من الإسكندرية إلى رشيد ومنها إلى القاهرة على شاطئ النيل، والثاني سار من الإسكندرية إلى الرحمانية بطريق دمنهور ومنه إلى القاهرة والتقى الجيشان في الرحمانية»[46]، حيث وجد الفرنسيون هناك مقاومة معتبرة من المصريين والمماليك بقيادة مراد بك[47] الذي هزمه نابليون وتراجع إلى القاهرة؛ أما القائد المملوكي الآخر إبراهيم بك[48]، ففور سماعه بانهزام مراد بك، فرّ هو الآخر من القاهرة باتجاه الصحراء الشرقية. وهكذا خلت القاهرة من أية قوة دفاع أمام الغزاة الفرنسيين[49].

وأعد نابليون منشورا يخاطب فيه المصريين، ويبين لهم أهدافه من القدوم إلى بلادهم؛ فوضع لذلك أسبابا صاغها كالتالي:

- تأديب المماليك؛ لعدم استجابتهم لأوامر الحكومة الفرنسية حول انشغالات التجار الفرنسيين في مصر.
- رفع ظلم المماليك عن المصريين، وإحقاق العدل، والمساواة بين طبقات المجتمع المصري.
- الصداقة التي تجمع السلطان العثماني بفرنسا وحكومتها، فوجود الحملة هو بداعي توطيد لتلك الصداقة في إيالة يسيطر عليها المماليك (المعارضين للدولة العثمانية) .
- ضرورة حكم المصريين لبلادهم بأنفسهم، وتدبير أمورها دون وصاية من أحد.

ولم يخلو المنشور من التهديد والوعيد من خطر الاستعانة بالمماليك، وأن ذلك سيعرض أهله لإحراق قراهم وتدميرها، كما أكد المنشور على احترام نابليون لدين ومعتقدات المصريين، وقرآنهم، ونبيهم ، وأنه يؤمن هو الآخر بالله[50]، وأنه لن يمسّ مقدساتهم بسوء أو إهانة.

ويعود تاريخ المنشور إلى 2 يوليو سنة 1798م (أي يوم احتل نابليون الإسكندرية)، وقد طبعت نسخة منه في المطبعة العربية ووزعت على السكان.[51]

وكان نابليون قد اصطحب معه في حملته على مصر ثلاث مطابع: عربية، وفرنسية، وأخرى يونانية.

لتقوم بعد ذلك وعلى مقربة من الأهرام، المعركة الفاصلة بين القوات الفرنسية ونظيرتها من المماليك بمساعدة المصريين؛ حيث انتهت المعركة بهزيمة جيش المماليك وموت معظم الجنود قتلا وغرقا، واستولى الفرنسيون على إمبابة وغنموا ما بها من مدافع، وأسلحة، ومؤن، وانسحب مراد بك ببقايا الجيش إلى الصعيد؛ أما إبراهيم بك فاتجه إلى سوريا حاملا معه النفائس والأموال[52]. وبذلك ترك أمراء المماليك سكان القاهرة ومصر عموما وجها لوجه أمام القوة الفرنسية، دون اتخاذ أية إجراءات للدفاع عنهم[53]، ما يثبت أن سلطة المماليك كانت لا علاقة لها بالشعب المصري؛ فقد تركته في أحلك ظروف المواجهة بينه

وبين جيش نابليون وعسكره.

5. المبحث الرابع: دور المستشرقين الفرنسيين في الحملة على مصر

ابتدأ دور المستشرقين في الحملة الفرنسية على مصر قبل وقوعها بقرون؛ حيث كانت مصر دوما محط أنظار السياسيين منهم، والعسكريين، والفنانين، والرحالة، وما التقارير، والكتب، والمنشورات، والرحلات، والخطط، إلا دليل على الاهتمام الكبير الذي حظيت به مصر من طرف الفرنسيين؛ حتى صارت عندهم حلم الشرق الذي سعوا لتحقيقه عبر النيل منه والسيطرة عليه؛ لذلك نرى العدد الكبير منهم في حملة نابليون الذي جعل وزن المستشرقين والعلماء لا يقل أهمية ودورا عن وزن وقيمة الجند والعسكريين.

ففي المقدمة التي كتبها فورييه لكتاب: وصف مصر (والذي نشر بعد فشل الحملة على مصر) ذكر أنه لم تنشأ في الشرق أو في آسيا دولة كبرى إلا وكانت ترنو إلى مصر..، وأنه فيما مضى أوصى الدين ملوكنا بالاستيلاء على مصر، وقد بذل العديد منهم الجهود لتحقيق ذلك[54]؛ إذن فمصر كانت حلم وهدف وإستراتيجية حققها نابليون بونابرت للفرنسيين بعدما بذل جهودا وسنوات يخطط، ويفكر، ويضع حججه ليقنع حكومة الإدارة؛ فيجهز جيشا من المستشرقين سواء كانوا علماء وباحثين، أو أطباء، أو رحالة، أو جنودا وقادة عسكريين، فالغاية واحدة والوجهة واحدة هي الشرق بعلومه، وأديانه، وعاداته، وأعرافه «وكانوا يشكلون كتيبة لغزو المعرفة وتطبيق العلم الحديث، وكانوا على وعي بأن ثمة أهداف إيجابية يستطيعون تحديثها في مصر، ففيها فرص لا حد لها وكل شيء ينتظر من يكتشفه أو يصنعه..»[55].

وقد قام كل واحد منهم بأدوار ومهام منوطة به حققها كما يجب، خاصة الباحثين والعلماء والرحالة، وتتلخص تلك الأدوار كالآتي:

5. 1. المطلب الأول: الترجمة والطباعة

كانت الترجمة من أهم أدوار المستشرقين والعلماء الفرنسيين وأكثرها فاعلية وأثرا قبيل نزول الحملة بالإسكندرية وبعدها، وانقسمت إلى: ترجمة رسمية، وأخرى علمية:

الترجمة الرسمية: جُسدت في ترجمة المنشورات، ونقل أوامر قيادة الحملة، والحديث بين الحكام والمحكومين، وتسجيل المحاضر..، وقام بهذا النوع من الترجمة أول الأمر جماعة من أسرى البحارة المسلمين، الذين كانوا تحت أيدي فرسان القديس يوحنا بجزيرة مالطة، وقد اشتركوا مع المستشرقين من علماء الحملة في ترجمة المنشور الذي أعده نابليون بالفرنسية، والذي طُبع على ظهر بارجة الشرق (إحدى سفن الأسطول)[56]

ويقول الجبرتي[57] عن هؤلاء الأسرى: «وقد كان الفرنسيس حين حلولهم بالإسكندرية كتبوا مرسوما وطبعوه وأرسلوا نسخا منه إلى البلاد التي يقدمون عليها، تطمينًا لها، ووصل هذا المكتوب مع جملة من الأسرى الذين وجدوهم بمالطة، وحضروا صحبتهم، وحضر منهم جملةٌ إلى بولاق، وذلك قبل وصول الفرنسيس بيوم أو بيومين، ومعهم منه عدة نسخ، ومنهم مغاربة، وفيهم جواسيس، وهم على شكلهم من كفار

مالطة، ويعرفون باللغات.. »[58]

وممن كان على رأس هذا النوع من الترجمة من المستشرقين الفرنسيين، نذكر:

فانتور دي بارادي **Venture de Baradi**: وهو أحد أكبر أعضاء لجنة الترجمة بالمجمع العلمي المصري، مستشار نابليون، ومرجعه في المسائل الخاصة بالشرق والشرقيين، قضى أربعين سنة من حياته في الشرق، فكان مترجمًا بالسفارة الفرنسية في تركيا، ثم مترجمًا للغات الشرقية للحكومة الفرنسية في باريس، ثم مدرسًا للغة التركية في مدرسة اللغات الشرقية في باريس[59]. أشهر أعماله هو ترجمة منشور نابليون عشية وصوله لشواطئ الإسكندرية، والذي بيّن فيه أهداف حملته وأسبابها[60]

جوبير **Pierre Amébee Jaupert** : أحد المستشرقين من علماء الحملة، اختاره نابليون ليكون كبيرا لمترجمي الحملة، تخرج في مدرسة اللغات الشرقية في باريس، وقد كتب أبحاثًا كثيرةً نُشرت في كتاب وصف مصر، وبعد جلاء الحملة عُيِّنَ مدرسًا للغة التركية في مدرسة اللغات الشرقية، ثم اختير مدرسًا للفارسية، وفي أخريات أيامه عُيِّنَ ناظرًا لمدرسة اللغات الشرقية[61]

الترجمة العلمية: وجسدها في الواقع المجمع العلمي المصري الذي أسّسه نابليون، وقسمه إلى أربعة أقسام هي: قسم الرياضيات، قسم الطبيعيات، قسم الاقتصاد السياسي، قسم الآداب والفنون، ويتكون كل قسم من اثني عشر عضوا، واحتوى قسم الآداب والفنون على مختصين في الترجمة والطباعة العربية والفرنسية، غير أنه حمل عبء الترجمة العلمية في جملته عضوان من أعضاء المجمع، أحدهما سوري مسيحي[62]، والآخر هو:

جان يوسف مارسيل **Marcel**: وهو مستشرق فرنسي كبير، ورئيس المطبعة الفرنسية والعربية التي أحضرها نابليون معه، وقد درس العربية وشارك في تأليف عدة كتب عن مصر وآثارها، وبعد جلاء الحملة الفرنسية على مصر صار مديرا للمطبعة الأهلية بفرنسا[63]

5. 2. المطلب الثاني: كتابة التقارير لحكومة الإدارة وقبلها للنظام الملكي

توالت التقارير حول مصر، والتي كتبها مستشرقون سياسيون (خاصة) لفرنسا، سواء في مرحلة النظام الملكي أو في مرحلة ما بعد الثورة الفرنسية وحلول النظام الديمقراطي وحكومة الديراكتوار، وتلك التقارير هي كالآتي:

تقرير ليبنتز **Leibnitz**: كان تقرير ليبنتز سنة 1672م عبارة عن نصيحة للملك لويس الرابع عشر، حين كانت فرنسا في تنافس حول السيادة مع هولندا، فقدم تقريره يرغب في العدول عن الزحف على هولندا قائلا: «إنكم لا تهزمون الهولنديين في عقر دارهم، فإنكم لا تستطيعون تخطي السدود التي تحيط ببلادهم وإذا أعلنتم عليهم الحرب فإن أوربا إلى جانبهم، لكن مصر هي الميدان الذي تضربونهم فيه فهناك تجدون الطريق الحقيقي لتجارة الهند ومنه تمتلكون زمام تلك التجارة.. وتضمنون بسط سلطان فرنسا وسيادتها في بلاد الشرق...»[64]، ولم يستطع لويس الرابع عشر تنفيذ تلك النصيحة؛ لأنها قُدمت إليه بعد أن دخلت

جيوشه هولندا؛ ولأنه أيضا كان يحرص على صداقة تركيا رغبة في حملها على الانضمام إليه ضد أوربا المعادية[65].

تقرير مجالون Magellan 1796 : وهو قنصل فرنسا في الإسكندرية، ما فتئ يكاتب حكومته في شأن الحملة على مصر، ويكرر الشكوى من مراد بك وإبراهيم بك، ويشجع الحكومة الفرنسية على إرسال حملة على مصر، ويذكر مزايا ذلك، ورأى أن يحضر بنفسه سنة 1796م إلى باريس؛ ليعرض الحالة أمام حكومة الإدارة الفرنسية[66].

تقرير تاليران Talleyrand : شغل منصب وزير الشؤون الخارجية في الحكومة الفرنسية، وقد حرّر تقريره سنة 1798، ولهذا التقرير أهمية كبيرة في تاريخ الحملة، فقد عرض تاليران في تقريره العلاقات القائمة من قديم الزمان بين فرنسا ومصر، كما نبّه إلى ما اعتبره الفرصة السانحة أخيرا لإرسال الحملة على مصر، وضمنه كافة الآراء التي نادى بها الكثيرون قبله في أوقات مختلفة، وكان مما اعتمد عليه تاليران في أكثر ما كتب، تقريرات القنصل الفرنسي مجالون[67].

5. 3. المطلب الثالث: وصف مصر من خلال الرحلات

لعبت الرحلات دورا بالغا في التمهيد للحملة ورسم الصورة المخيلية لمصر، وتقريبها لدى الفرنسيين. كانت تلك الرحلات تصف تفاصيل حياة المصريين، وأوضاعهم الاجتماعية، والاقتصادية وحتى السياسية؛ ومدى سخطهم أو رضاهم عن السلطة العثمانية والمماليك المتقلدين لزمام الحكم آنذاك؛ كما ساهمت الرحلات بشكل كبير جدا في إقناع نابليون بجدية وضرورة الحملة على مصر؛ ولا يخفى على أحد أن نابليون راودته الفكرة وتبلورت وتحمس لها وجهز تفاصيلها واقعا، تبعا لما قرأه من كتب الرحالة. ومن المستشرقين الرّحالة الذين ساهموا بكتاباتهم في حملة نابليون على مصر، نذكر:

رحلة فولني Volney (1757م– 1820م): هو قسطنطين فرانسوا فولني، مؤرخ وفيلسوف فرنسي، اهتم بالتاريخ، فدفعه ذلك للسفر إلى سوريا ومصر، حيث نشر كتابه "رحلات في سوريا ومصر" سنة 1787م[68]، فذكر سهولة فتح مصر، وضعف مركز المماليك فيها، وجهلهم بطرق الحرب الحديثة، وأن الحملة لا تتطلب سوى عدد قليل من الرجال، وقال واصفا الإسكندرية: «ليس في المدينة سوى أربعة مدافع في حالة صالحة، وليس بين الحامية الذي يبلغ عددها خمسمائة من يمكنه إصابة المرمى، بل جميعهم من العمال العاديين الذين لا يحسنون سوى التدخين..»[69]، وقال مغريا حكومة بلاده: «إن استيلاء الفرنسيين على مصر كفيل بإعادة الإمبراطورية الهندية إلى أحضان فرنسا، وإن قوة المماليك ليست إلا خرافة...»[70]، وقد خص نابليون قادة حملته بنسخ من كتاب فولني وزعها عليهم قبيل مسير حملته إلى مصر.

رحلة سافاري Cloude Safarry (1750م– 1788م): هو كلود إيتيان سافاري، عالم المصريات والإسلاميات، مكث بمصر ثلاث سنوات، كان يجيد العربية، مما سهّل عليه دراسة مصر ومعرفة أحوالها بدقة[71]، كتب رحلته "رسائل عن مصر" سنة 1786م، حيث أسهب في الحديث عن خصوبة الدلتا المصرية،

ووصف أهل البلاد وعاداتهم وأخلاقهم، ودوّن الكثير من أخبار حملة القديس لويس الرابع عشر وهزيمته في المنصورة[72]، وقد أعيد نشر كتابه ثلاث مرات فرنسا، وترجم إلى الألمانية والإنجليزية، وقد قام بونابرت بتوزيع رسائل سفاري إلى مصر على جنوده قبل انطلاق حملته؛ ليشحذ هممهم، ويقرب لهم صورة البلاد المقبلين عليها[73].

رحلة البارون دي توت Baron De Tott : رحالة فرنسي، هنغاري الأصل، عمل أول الأمر في السفارة الفرنسية لدى القسطنطينية، ثم مساعدا للسلطات العثمانية في حروبها ضد الروس، حيث درّب الجنود الأتراك وعلمهم الفنون العسكرية الحديثة، وطرح على السلطان العثماني مشروع حفر قناة تصل بين البحرين الأبيض والأحمر في برزخ السويس؛ لتسهيل التبادل الاقتصادي والمرور التجاري، ليعود إلى باريس ويقدم لحكومته سنة 1777م مذكرة وافية عن حالة تركيا السياسية، مشجعا لها على فكرة الاستيلاء على مصر وفائدة ذلك وسهولته جدا[74].

5. 4. المطلب الرابع: مستشارين لنابليون في جيش الحملة على مصر

وهم مجموع القواد العسكريين والنواب الميدانيين الذين شاركوا مع نابليون في حروبه، ورافقوه خاصة إلى مصر في أسطول جيش الشرق، فلم يكن نابليون القائد الوحيد في الميدان، بل هناك من شاركه في قيادة المعارك، والخطط الحربية، والاستشارة، والوزارة، والتنقل بين المديريات المصرية شمالا وجنوبا، برا وبحرا، ومن هؤلاء نذكر الأشهر، والأكثر تأثيرا ودورا:

كافريللي Caffarelli : جنرال من أصل إيطالي، كان من أكفاء الجيش الفرنسي، قاتل في حروب الثورة الفرنسية، وفقد إحدى قدميه، فجاء إلى مصر بقدم واحدة. اختاره نابليون رئيسا لفرقة المهندسين في الجيش الفرنسي القادم إلى مصر[75]، ويصفه الجبرتي بقوله: «...كفرلي المسمى بأبي خشبة، وهو يمشي بها بدون معين، ويصعد الدرج ويهبط منها أسرع من الصحيح، ويركب الفرس ويرمحه وهو على هذه الحالة، وكان من جملة المشار إليهم فيهم، والمدبر لأمور القلاع وصفوف الحرب..."[76].

كليبر Clipper (1753م- 1800م) : الجنرال جان باتيست كليبر، أحد جنرالات فرنسا أثناء الحروب الثورية الفرنسية[77]، كان كليبر شديد الطموح[78]، ما جعل نابليون يختاره لكي يخلفه على مصر عندما غادرها هذا الأخير عام 1799م بعدما أيقن من فشل الحملة ووصول أخبار إليه تفيد أن حربا عارمة قد اندلعت ضد فرنسا، فترك القيادة لكليبر، الذي أعاد تنظيم الحكومة والأقاليم والدواوين والضرائب..، فقام كليبر بعمل اتفاقية العريش في يناير 1800م، نصت على جلاء الفرنسيين عن مصرفي مدة ثلاثة أشهر(لأنه كان من أنصار الجلاء عن مصر)[79]؛ «لكن المعاهدة فشلت بسبب رفض الحكومة البريطانية عودة الفرنسيين، إلا كأسرى حرب، ليرفض كليبر ذلك لما فيه من إهانة للفرنسيين، وعاد ونشب قتال بينه وبين العثمانيين وهزمهم»[80]، بعدها عدّل كليبر من سياسته وقرر البقاء في مصر؛ ما أدى لقيام ثورات شعبية ضده وضد سياسته، فردّ عليها بالعنف وضربات المدافع ما اضطر السكان للاستسلام؛ ففرض الضرائب عليهم جميعا،

وبعد إخماد الثورات الشعبية ضده انصرف كليبر إلى عمل إصلاحات إدارية ومالية؛ لكن ذلك لم يتم له، فقد قام أحد طلاب الأزهر السوريين باغتياله، كان ذلك في 24 يونيو 1800م[81].

مينو Minou (1750م- 1810م) : جاك فرانسوا مينو، أحد جنرالات الحملة الفرنسية على مصر، اشتهر بحسن الإدارة، ودماثة الأخلاق، وشدة التعلق بنابليون، تسلّم قيادة جيش الشرق بعد اغتيال القائد كليبر سنة 1800م؛ لأنه كان الأكبر سنا آنذاك؛ لكن خلافته لكليبر لم تثر الحماسة لدى الجند بسبب إسلامه وزواجه من مسلمة، وأيضا قلة خبرته القيادية في الجيوش، رغم ذلك قام بأعباء الحكم ونظّم المالية، ووحّد صفوف الجيش، وقضى على المنافسات الحزبية[82]، وعني بشؤون البلاد أيما اعتناء، فنظم الحكومة المركزية في القاهرة، والحكومات الإقليمية في المديريات، واهتم بشؤون الزراعة، والصناعة، والتجارة، وإصلاح قنوات الري، وإقامة الجسور، وحدائق التجارب النباتية، وكان مينو يأمل إلى دعم وتثبيت أركان المستعمرة الفرنسية التي أراد تأسيسها في مصر، غير أن ذلك لم يتم له، فقد دبّ الشقاق في وسط جيش الحملة بين مخالف ومؤيد لسياسته[83].

6. المبحث الخامس: توطين الحملة واستمرارها ثلاث سنوات رغم فشلها عسكريا في سنتها الأولى

ذكرنا فيما تقدم أن نابليون أحضر معه إلى مصر نحو مائة رجل من أكبر علماء فرنسا الملمِّين بكل فن وعلم، وكان أهم غرض من إحضارهم، الانتفاع بآرائهم في كل ما يلزم للجيش والجالية التي كان يرمي نابليون إلى توطينها بالبلاد، فلم يكد رجال البعثة العلمية يبلغون الديار المصرية، حتى انكبوا على دراسة جميع ما فيها من آثار ونبات وحيوان ومعادن، ورسموا كل شيء ووصفوه وصفًا مسهبًا، وقد نجحوا في أعمالهم نجاحًا تاما[84]، وقد ساهم أولئك المستشرقون من علماء آثار، وعلماء بيئة، ومتخصصين في الجيولوجيا، وكتّاب، وناشرين، ورحالة مستكشفين منذ نزولهم أرض مصر، ساهموا بأعمالهم وأبحاثهم التي استغرقت وقتا، في أن يطيلوا من عمر حملة نابليون على مصر، أبحاث ودراسات ميدانية شملت كل أرض مصر، في كل الأقاليم والقرى، حيث كان الباحثون يطوفون الأقاليم والقرى منقبين مستعلمين من الأهالي عن كل ماله علاقة بمواضيع بحوثهم[85]، ومن الملاحظ أن نشاط علماء الحملة كان علنيا وأمام أعين المصريين، فقد راحوا يجوبون الشوارع، يدرسون،وينقبون، ويفحصون، ويبحثون[86].

وقد أجمع أغلب الباحثين أن الحملة الفرنسية على مصر قد فشلت عسكريا وحربيا في عامها الأول؛ فلا هي استطاعت أن تتصل بالمستعمرات الإنجليزية في الشرق؛ فتعمل على تقويض دولة الإنجليز، ولا هي حاولت قطع الطريق بين إنجلترا والشرق بإنشاء قناة السويس والسيطرة عليها؛ ولا تمكنت من تكوين مستعمرة فرنسية توازي مستعمرات إنجلترا في الشرق[87]، زد على ذلك أن قائد الحملة نابليون بونابرت غادر مصر سرا بعد مضي عام واحد فقط على وصوله إليها؛ بسبب تأكده أن مشروع حملته فشل نهائيا، فلابد من العودة لميدان العمل في أوربا، كذلك علم نابليون أن الحالة الداخلية في فرنسا تتطلب وجوده، وأيضا طلب حكومة الإدارة من نابليون (في تقرير كتبته له) تصف سوء الحالة في أوربا وفي فرنسا، وتظهر

رغبتها في عودة جيش الحملة من مصر لحماية الوطن[88]، رغم أن نابليون قد انتصر في معركة أبي قير البرية، فقد «كان من نتائج هذه المعركة وصول أخبار إليه من القائد العثماني الذي وقع في الأسر تفيد بأن حربا عارمة في أوربا قد اندلعت ضد فرنسا»[89].

ومن بين أبحاث ودراسات المستشرقين الفرنسيين التي أطالت من عمر الحملة الفرنسية في مصر ثلاث سنوات، رغم فشلها عسكريا في سنتها الأولى، نذكر ما يلي:

- محاولة حفر قناة السويس: وذلك لتسهيل التبادل الاقتصادي والمرور التجاري، وهو في البدء (كما سبق ذكره) مشروع الرحالة الفرنسي البارون دي توت، الذي قدّم مشروع حفر قناة تصل بين البحرين الأبيض والأحمر في برزخ السويس[90]، ولم ينجز الفرنسيين هذا المشروع إذ ذاك؛ لوقوعهم في خطأ حسابي توهموا به أن سطح البحر الأحمر أعلى من سطح البحر الأبيض بتسعة أمتار[91].

- إنشاء مجمع علمي: أسّسه نابليون بونابرت قبل انطلاق سفن الحملة من موانئ فرنسا سنة 1798م، وكان أعضاء المجمع منتظمين فروعا حسب العلوم والأعمال التي انقطعوا لها أو توفروا عليها، وتلك الفروع هي: الرياضة، الهندسة، الفلك، الميكانيكا، الكيمياء، طبقات الأرض والمعادن، النباتات، حياة الحيوان، الطب والجراحة، الصيدلة، الاقتصاد السياسي، الآثار القديمة، هندسة المعمار، التصوير، الرسم، هندسة الري والطرق والجسور، الهندسة الجغرافية، الهندسة البحرية والميكانيكية، النقش، الحفر، الأدب، الموسيقى، الطباعة العربية والفرنسية[92].

ومن أعضاء المجمع من حاول استمالة الأهالي وشدّ انتباههم لجهودهم العلمية؛ لإزالة شكوكهم في نواياهم، وكان عليهم أن يستميلوا العامة والشيوخ، وأن يطلعوهم على حوايا البحوث والمنشآت ومختلف الابتكارات، وأن يفسروا ما استغلق فهمه، خاصة أنه لم يكن لدى عامة المصريين صورة واضحة عن الحضارة السائدة في أوربا، وكان موقف المصريين من المجمع العلمي وأعضائه هو سوء الظن وعدم استطاعتهم أن يدركوا ما كان لبحوث أعضاء المجمع العلمي من أهمية[93].

- دراسة الأمراض وطرق علاجها: لاسيما الرمد والطاعون، الذي كان منتشرا بكثرة، وأودى بحياة الآلاف قبيل وصول الحملة إلى مصر.

- فحص نظام الري وطرق إصلاحه

- مسح كل أرض مصر وإنجاز خريطة شاملة: وقد تم وضعها في سنة 1800م في عهد الجنرال مينو، إذ كوّن لجنة من المهندسين لمسح أراضي القطر، وجمع المعلومات اللازمة لوضع الخريطة[94]، وقد نشرت لاحقا عند عودتهم لفرنسا.

- حل لغز الكتابة الهيروغليفية: ففي سنة 1799م، عثر الضابط الفرنسي بوشار Bouchard على الحجر المعروف بحجر رشيد، عليه كتابة باللغات الثلاثة: الهيروغليفية، والديموقوطية، والإغريقية، وظنوا آنذاك أنهم توصلوا لمفتاح اللغة الهيروغليفية، غير أن الحجر وقع بأيدي الإنجليز في حملتهم على مصر وذهبوا

به للمتحف البريطاني، لينبري بعدها العالم الأثري الفرنسي شمبليون Champillion سنة 1822م في حل طلاسم الحجر ولغته، ويؤسس بذلك لعلم جديد هو: علم الآثار المصرية "الإيجيبتولوجي"[95].

ـ كتابة وصناعة أكبر وأوفى مؤلف حول مصر: وذلك في سنة 1802م، حيث أمرت الحكومة الفرنسية بجمع أعمال وإنتاجات الباحثين والعلماء الذين رافقوا نابليون بونابرت في مؤلف واحد سمي: "وصف مصر" Description de l'Egypte، وهو كتاب خالد يحتوي مجموعة أبحاثهم، ومذكراتهم، وخرائطهم، ورسومهم، واكتشافاتهم من خلال سنوات ثلاثة، ويتناول تخطيط آثار مصر وبلدانها القديمة، وثغورها، وسواحلها، ونيلها، وترعها، ونباتها، وحيواناتها، وطيورها، وصناعتها، وتجارتها، وفنونها...، وقد بدأ علماء الحملة في وضع هذا الكتاب بأمر من نابليون بعد عودتهم إلى فرنسا، وقضوا في تأليفه سبعة عشر عاما [96].

7. خاتمة

في نهاية هذه الأوراق البحثية، نخلص للنتائج التالية:

- الحملة الفرنسية على مصر، ما هي إلا نتيجة تلقائية لحال المجتمع والعالم الإسلاميين في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر.
- الحملة الفرنسية على مصر، ساهم في أسبابها، أوضاع داخلية مصرية أكثر من كون أسبابها فرنسية وأوربية.
- حالة الضعف والتشتت التي كانت عليها الخلافة العثمانية، ما جعلها تفقد أهم إيالاتها، مصر.
- دور الاستشراق والمستشرقين في تحريك دواليب سياسة الدول، وصيرورة العلاقات الدولية، وصناعة الواقع السياسي العالمي.
- توسع وشمول ميادين الاستشراق من المجال العلمي، إلى المجال السياسي والعسكري والاجتماعي.

ومن خلال النتائج المتوصل إليها أعلاه، من الضروري التوصية بما يلي:

ـ الحاجة إلى دراسات مكثفة، دقيقة، شاملة حول هذه الفترة من تاريخ مصر والعالم الإسلامي.

ـ الحاجة إلى دراسات أخرى مقارنة بين الشرق الذي كان واقعا تحت الضعف والتخلف، والغرب الذي تحرّر من قيود كل ذلك، وأخذ في التحرك وبثّ معارفه، واستعراض ما لديه للآخر، خلال فترة القرنين 18م و19م.

ـ الحاجة إلى بحوث عن الخلافة العثمانية في تلك الفترة، وعن أسباب تركها لأهم إيالاتها (مصر) تحت السيطرة والحملة الفرنسية، لثلاث سنوات كاملة!

ـ أهمية وجود دراسات عن واقع المصريين ووضعهم، وما الذي أدى بهم أن يكونوا هدف القائد الفرنسي نابليون بونابرت وجيشه.

ـ أبحاث أكثر موضوعية عن الاستشراق والمستشرقين؛ لأن الاستشراق ليس شر كله، وليس نفع وخير كله، وما تمت ملاحظته عن دراسات باحثينا العرب والمسلمين هو: الميل لوصف الاستشراق وأهله بأنه شر كله، وبلاء، واستعمار، وتدبير ضد الإسلام والمسلمين، إلا ما ندر من الإنتاجات الناقدة الموضوعية البناءة، فمن الموضوعية وجود أبحاث مقابلة في وجهة النظر.

8. قائمة المصادر والمراجع:

- الكتب:
- إبراهيم ناصر أحمد(2007)، مائتا عام على الحملة الفرنسية (رؤية مصرية)، القاهرة، مكتبة الدار العربية للكتاب، دون طبعة.
- ابن منظور(2010)، لسان العرب المحيط، القاهرة، دار المعارف المصرية، المجلد4، دون طبعة.
- إسكندر عمر وحسن سليم(2014)، تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، دون طبعة.
- الجبرتي عبد الرحمن بن حسن (1998)، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، القاهرة، دار الكتب المصرية، عن طبعة بولاق، ج2.
- الرافعي عبد الرحمن(1955)، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط4.
- رفعت محمد(1934)، تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة (من سنة 1798م إلى سنة 1849م)، القاهرة، وزارة المعارف العمومية، القاهرة، دون طبعة، ج1.
- سترومبرج رونالد(1994)، تاريخ الفكر الأوربي الحديث (1601-1977م)، ترجمة: أحمد الشيباني، القاهرة، دار القارئ العربي، ط3.
- شبارو عصام محمد(1992)، المقاومة الشعبية المصرية للاحتلال الفرنسي والغزو البريطاني، بيروت، دار التضامن، دون طبعة.
- الشلق زكريا(2006)، الحداثة والإمبريالية (الغزو الفرنسي إشكالية نهضة مصر)، القاهرة، دار الشروق، ط1.
- الشيال جمال الدين(2017)، تاريخ الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، دون طبعة.
- الطوخي نبيل السيد(1997)، صعيد مصر في عهد الحملة الفرنسية (1798-1801)، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1.
- عبد العزيز زينب(1998)، مئتا عام على حملة الفرنسيس، القاهرة، دار النهار للطباعة والنشر، دون طبعة.
- العشماوي محمد سعيد(1999)، مصر والحملة الفرنسية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دون طبعة.
- عوض أحمد حافظ(2012)، نابليون بونابرت في مصر، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، دون طبعة.
- عوف أحمد(1977)، أحوال مصر من عصر لعصر، القاهرة، دار العربي للنشر والتوزيع، دون طبعة.
- الفيروز أبادي(2005)، القاموس المحيط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط8.
- الكيالي عبد الوهاب(1979)، موسوعة السياسة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دون طبعة، ج1.
- الكيالي عبد الوهاب(1990)، موسوعة السياسة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، ج5.
- مجموعة من الباحثين(2002)، موسوعة مشاهير العالم، بيروت، دار الصداقة العربية، ط1، ج3.
- محمد فرج(1962)، النضال الشعبي ضد الحملة الفرنسية، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، دون طبعة.
- النبهان محمد فاروق(2012)، الاستشراق تعريفه مدارسه وآثاره، الرباط، منشورات المنظمة الإسلامية للعلوم والتربية والثقافة، دون طبعة.
- نخبة من أساتذة التاريخ(2009)، المرجع في تاريخ مصر الحديث والمعاصر، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة (لجنة التاريخ)، ط1.
- ياغي إسماعيل أحمد(1997)، العالم العربي في التاريخ الحديث، الرياض، مكتبة العبيكان، ط1.
- يانج جورج(1996)، تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل، تعريب علي أحمد شكري، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط2.

- يوسف أحمد(2005)، بونابرت في الشرق الإسلامي(القاهر المقهور)، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ط1.
- الرسائل العلمية:
- حمو عبد الكريم(2008/2007)، الاستشراق الفرنسي والترجمة في الجزائر مشروع الاستشراق وأثره في الدراسات الأدبية، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، اللغات والفنون، جامعة وهران.
- شايب الدور أمحمد(2010/2009)، الاستشراق الفرنسي والتراث الشعبي في الجزائر، رسالة ماجستير، جامعة وهران قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، اللغات والفنون، جامعة وهران.
- عقباوي محمد حمزة بن عبد الكريم(2018/2017)، الحملة الفرنسية على مصر ونتائجها (1798-1801)، مذكرة ماستر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والإسلامية، جامعة أدرار.
- المواقع الإلكترونية:
- جميل سامح(2019)، أشهر الخونة في تاريخ مصر، مراد بك عميل الإنجليز والفرنسيين الذي مات بالطاعون، مدونة رسالة النيل، 27-06-2019، https://nilemessage.blogspot.com/2019/06/blog-post_515.html
- شحاتة أمل، 1800م إغتيال القائد العسكري الفرنسي الجنرال كليبر في قصره بالقاهرة، قناة أخبار مصر، https://www.maspero.eg
- عفيفي وسيم(2017)، إبراهيم بك، الفصل الختامي في حكاية خيانات المماليك، موقع تراثيات، 26 فيفري 2017، http://www.toraseyat.com
- محمد حامد(2020)، لويس التاسع..770 عاما على هزيمة قديس الصليبيين في المنصورة، بوابة الوطن، 07 مايو 2020، https://www.elwatannews.com/news/details

9. الحواشي :

1- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 2005، ص897.

2- ابن منظور، لسان العرب المحيط، دار المعارف المصرية، القاهرة، مج4، د ط، دت، ص2244.

3- حمو عبد الكريم، الاستشراق الفرنسي والترجمة في الجزائر مشروع: الاستشراق وأثره في الدراسات الأدبية، رسالة ماجيستير في الأدب العربي، جامعة وهران، كلية الآداب، اللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، 2008/2007م، ص7.

4- شايب الدور أمحمد، الاستشراق الفرنسي والتراث الشعبي في الجزائر، رسالة ماجستير، جامعة وهران، كلية الآداب، اللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، 2010/2009م، ص34.

5- محمد فاروق النبهان، الاستشراق، تعريفه، مدارسه، آثاره، منشورات المنظمة الإسلامية للعلوم والتربية والثقافة، الرباط، المغرب، 2012/1433، ص 22.

6- نخبة من أساتذة التاريخ، المرجع في تاريخ مصر الحديث والمعاصر، المجلس الأعلى للثقافة (لجنة التاريخ)، ص69.

7- عبد الرحمن الرافعي، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، مكتبة النهضة المصرية، ط4، 1955، ص65.

8- الثورة الفرنسية la revolution française: حدث تاريخي هام بدأ على شكل انقلاب سياسي سنة 1789م، اختلف المؤرخون في أسبابها، فيرى البعض أنها حركة عقلية نشأت من حركة الاستنارة الحرة في القرن الثامن عشر ويرى آخرون أنها ثورة الطبقات المحرومة ضد طبقة الإقطاعيين.. والسبب المباشر كان دون شك حالة الإفلاس التي كانت عليها خزينة الدولة بسبب حروب القرنين السابع عشر والثامن عشر بالإضافة للظلم وانعدام العدالة، من نتائجها أن أدت إلى تقويض البناء القديم لأوربا ومهدت الطريق للمذاهب الحرة في القرن التاسع عشر، وعجلت بظهور القومية وأرست في المجتمع مبادئ الحرية، الإخاء والمساواة، المختلفة عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص913/914.

9- نابليون بونابرت: قائد فرنسي، ولد في مدينة أجاكسيو، بإيطاليا يوم 15 أغسطس 1769م، من أسرة إيطالية الأصل، لما شبت الثورة الفرنسية انضم إليها، وعُين قائدا للجيش الفرنسي في حرب إيطاليا سنة 1796م، فظهرت عبقريته الحربية للعيان، بعدها اتجه للحملة على مصر سنة 1798م، بعد عودته من مصر سنة 1799 قلب نظام الحكم في مصر ونودي به قنصلا أولا، وساق جيوشه على أوربا فغلبها، انتهت حروبه بانهزامه في واقعة واترلو سنة 1815م، ونفي إلى جزيرة سانت هيلين، توفي في1821م. عبد الرحمن الرافعي، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، ص66.

10- محمد فرج، النضال الشعبي ضد الحملة الفرنسية، الدار القومية للطباعة والنشر، دط، 1962، ص12.

11- سليم الأول (1467م- 1520م): هو ياوز بن بايزيد، تاسع سلاطين الدولة العثمانية، أزال حكم المماليك في مصر بانتصاره على السلطان طومان باي في معركة الريدانية سنة 1517م، عرف عهده توسع وسيطرة للدولة العثمانية في آسيا وإفريقيا كبلاد فارس، وسوريا، ومصر، والجزائر. إعداد مجموعة من الباحثين، موسوعة مشاهير العالم، ج3، دار الصداقة العربية، بيروت، ص480.

12- عمر اسكندر وسليم حسن، تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر، مؤسسة هنداوي، للتعليم والثقافة، القاهرة، دت، دط، ص63/64.

13- عبد الرحمن الرافعي، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، ص17.

14- المرجع نفسه، ص20.

15- المرجع نفسه، ص32.

16- تأليف نخبة من أساتذة، المرجع في تاريخ مصر الحديث والمعاصر، ص65.

17- عصام محمد شبارو، المقاومة الشعبية المصرية للاحتلال الفرنسي والغزو البريطاني، دار التضامن، بيروت، لبنان، 1992، ص21.

18- محمد رفعت، تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة (من سنة 1798م إلى سنة 1849م)، ج1، وزارة المعارف العمومية، 1934، ص14.

19- أحمد عوف، أحوال مصر من عصر لعصر، دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 1977، ص90.

20- أحمد حافظ عوض، نابليون بونابرت في مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، دط، 2012، ص26.

21- المرجع نفسه، ص36.

22- عصام محمد شبارو، المقاومة الشعبية المصرية للاحتلال الفرنسي والغزو البريطاني، ص20.

23- محمد عقباوي حمزة بن عبد الكريم، الحملة الفرنسية على مصر ونتائجها (1797-1801)، مذكرة مكملة لمتطلبات شهادة الماستر في التاريخ، جامعة أدرار، 2018/2017، ص30.

24- عصام محمد شبارو، المقاومة الشعبية المصرية للاحتلال الفرنسي والغزو البريطاني، ص17 /18.

25- محمد فرج، النضال الشعبي ضد الحملة الفرنسية على مصر، ص11.

26- أحمد حافظ عوض، نابليون بونابرت في مصر، ص48.

27- عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، ج2، دار الكتب المصرية بالقاهرة، عن طبعة بولاق، 1998، ص295.

28- عبد الرحمن الرافعي، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، ص47.

29- محمد سعيد العشماوي، مصر والحملة الفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999، ص27.

30- لويس التاسع: ولد في 1214م في مدينة بواسي، كان والده ملك فرنسا لويس الثامن، نشأ نشأة دينية، لذلك لقب بالقديس، قاد حملة على بيت المقدس ليأخذها من سلاطين مصر؛ لكنه انهزم وأسر في المنصورة سنة 1250م، عاد إلى فرنسا ونظّم أجهزة الدولة ووطّد دعائم الطبقة الملكية، أنشأ العديد من الكنائس ذات المعمار الفني البارز، وكذلك

جامعة السوربون التي خصصها لأبناء المعوزين، توفي في 25 أغسطس 1270م عند قيامه بحملة أخرى على تونس. محمد حامد، لويس التاسع ..770 عاما على هزيمة قديس الصليبيين في المنصورة، بوابة الوطن، 07 مايو 2020، 19:45، https://www.elwatannews.com/news/details

31- عبد الرحمن الرافعي، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، مكتبة النهضة المصرية، ط4، 1955، ص70.

32- ليبينتز(1646-1716): فيلسوف ألماني مثالي وموضوعي، أول رئيس لأكاديمية برلين للعلوم، أحد مبتكري حساب التفاضل، كان جيولوجيا وبيولوجيا ومؤرخا من أبرز كتبه "مقالات جديدة في الفهم الإنساني". رونالد سترومبرج، تاريخ الفكر الأوربي الحديث مم-1977م، ترجمة: أحمد الشيباني، دار القارئ العربي، القاهرة، ط3، 1994، ص 755.

33- لويس الرابع عشر (1638م- 1715م): ملك فرنسا 1661م/1715م، من الشخصيات التاريخية المؤثرة التي شغلت المؤرخين، حكم ل 54 سنة، تميزت بالمجد والبؤس معا، كانت له السلطة المطلقة حيث أطلق جملته الشهيرة "الدولة هي أنا"، مجسدا بذلك مبدأ الحق الإلهي في الحكم. عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، ط2، 1990، ج5، ص532.

34- أحمد يوسف، بونابرت في الشرق الإسلامي(القاهر المقهور)، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2005، ص 41.

35- أحمد حافظ عوض، نابليون بونابرت في مصر، ص71.

36- مجالون: يعد شارل مجالون من المستشرقين المحنكين ومن أوائل العملاء الجسورين الفضوليين بعاد النظر، قامت فرنسا بتعيينه قنصلا عاما بالإسكندرية. زينب عبد العزيز، مائتا عام على حملة الفرنسيس، القاهرة، دار النهار للطباعة والنشر، 1998، ص157.

37- عصام محمد شبارو، المقاومة الشعبية المصرية للاحتلال الفرنسي والغزو البريطاني، ص28.

38- الديراكتوار: أو حكومة الإدارة، هي الحكومة التي تأسست في فرنسا على أساس دستور1795 م، وقد بقيت إلى أن أسقطها نابليون بعد عودته من مصر سنة 1799م وحل محلها نظام القنصلية، وصار نابليون فيها القنصل الأول. نبيل السيد الطوخي، صعيد مصر في عهد الحملة الفرنسية (1798-1801)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1997، ص110.

39- عبد الرحمن الرافعي، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، ص75/74.

40- عصام محمد شبارو، المقاومة الشعبية المصرية للاحتلال الفرنسي والغزو البريطاني، ص25.

41- أحمد حافظ عوض، نابليون بونابرت في مصر، ص82.

42- عبد الرحمن الرافعي، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، ص 79.

43- عمر اسكندر وسليم حسن، تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر، ص101/100.

44- عصام محمد شبارو، المقاومة الشعبية المصرية للاحتلال الفرنسي والغزو البريطاني، ص16.

45- زكريا الشلق، الحداثة والإمبريالية (الغزو الفرنسي إشكالية نهضة مصر)، دار الشروق، القاهرة، ط1، ص57.

46- عصام محمد شبارو، المقاومة الشعبية المصرية للاحتلال الفرنسي والغزو البريطاني، ص17/16.

47- مراد بك: تولى حكم مصر بالاشتراك مع إبراهيم بك، قبل مجيء الحملة الفرنسية، وكان المماليك يعدون جيشاً لمقاومة الجيوش الفرنسية بقيادة مراد بك، إلا أن الجيوش المملوكية هُزِمَت واضطرت إلى التقهقر فرجع مراد بك إلى القاهرة، وكانت خيانة مراد بك أثناء ثورة القاهرة الثانية، حيث شارك في عمليات القتال ضد المصريين، ومنع عن القاهرة الإمدادات الغذائية التي كانت ترد إليها من الصعيد ومن الجيزة، فيُذكر أنه قد صادر شحنة من الأغذية والخراف كانت آتية من الصعيد لنجدة أهل القاهرة، وقدمها هديةً إلى الجيش الفرنسي وقائده، فكادت القاهرة تسقط في مجاعةٍ، بعدها سارع بإرسال الهدايا والإمدادات إلى جيش كليبر الذي يحاصر القاهرة، وقدم للفرنسيين المؤن والذخائر، وسلمهم العثمانيين اللاجئين إليه، وسعى إلى سحب المماليك الشرفاء الذين يقاتلون الفرنسيين داخل القاهرة إلى جواره؛ لينضموا إليه في معاهدته وينهي بذلك ثورة القاهرة، بعد ذلك انتقل مراد بك لمساندة الإنجليز عندما جاؤوا لمصر لطرد الحملة

الفرنسية..، أصابه طاعون قاتل مات به في 22 أبريل عام 1801. سامح جميل، أشهر الخونة في تاريخ مصر، مراد بك عميل الإنجليز والفرنسيين الذي مات بالطاعون، مدونة رسالة النيل، 27-06-2019، https://nilemessage.blogspot.com/2019/06/blog-post_515.html

48- إبراهيم بك: ولد في 1735م ولمهارته وذكاءه أصبح دفتردار ثم شيخا للبلد، اقتسم إبراهيم حكم مصر مع مراد بك فصار إبراهيم شيخا للبلد يقوم بالشؤون الإدارية، بينما كان يقوم مراد بشئون الجيش، ظل حكمهما المشترك قائما حتى مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر 1798م، ووقوع معركة إمبابة في 22 يوليو 1798م بين المماليك والفرنسيين، كانت نتيجة المعركة منطقية، ظهر فيها فرق القوة العسكرية بين الطرفين، فغريق المماليك كان يستعمل الفروسية؛ أما نابليون فاستخدم المدافع والبارود والأسلحة الحديثة، وبعد انتصار نابليون فرّ مراد بك إلى الصعيد، بينما إبراهيم بك إلى الشرقية ومنها إلى الشام، توفى سنة 1817م. وسيم عفيفي، إبراهيم بك، الفصل الختامي في حكاية خيانات المماليك، موقع تراثيات، 26 فيفري 2017، http://www.toraseyat.com، 21:30.

49- نخبة من أساتذة التاريخ، المرجع في تاريخ مصر الحديث والمعاصر، ص74.

50- المرجع نفسه، ص74.

51- عبد الرحمن الرافعي، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، ص74.

52- محمد فؤاد شكري، الحملة الفرنسية وظهور محمد علي، ص140.

53- محمد شبارو، المقاومة الشعبية المصرية للاحتلال الفرنسي والغزو البريطاني، ص46.

54- زكريا الشلق، الحداثة والإمبريالية (الغزو الفرنسي إشكالية نهضة مصر)، ص65.

55- المرجع نفسه، ص99.

56- جمال الدين الشيال، تاريخ الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية، مؤسسة هنداوي، دط، 2017، ص33/34.

57- الجبرتي(1754م- 1835م): شيخ المؤرخين، مصري ولد بالقاهرة وتعلم بالأزهر، شهد وأرّخ للحملة الفرنسية على مصر وأحداثها، ولصراعات الولاة العثمانيين في كتابيه "مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس، عجائب الآثار في التراجم والأخبار". محمد سعيد العشماوي، مصر والحملة الفرنسية، ص28.

58- عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج3، ص4.

59- عبد الرحمن الرافعي، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، ص135.

60- ناصر أحمد إبراهيم، مائتا عام على الحملة الفرنسية(رؤية مصرية)، مكتبة الدار العربية للكتاب، دط، دت، ص196.

61- جمال الدين الشيال، تاريخ الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية، ص41.

62- المرجع نفسه، ص55.

63- عبد الرحمن الرافعي، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، ص136.

64- المرجع نفسه، ص71.

65- محمد شبارو، المقاومة الشعبية المصرية للاحتلال الفرنسي والغزو البريطاني، ص16.

66- محمد رفعت، تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة (من سنة 1798م إلى سنة 1849م)، ص23.

67- محمد فؤاد شكري، الحملة الفرنسية وظهور محمد عل، ص114.

68- رونالد سترومبرج، تاريخ الفكر الأوربي الحديث 1601م-1977م، ص743.

69- محمد رفعت، تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة (من سنة 1798م إلى سنة 1849م)، ج1، ص23.

70- جورج يانج، تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل، تعريب علي أحمد شكري، مكتبة مدبولي، ط2، 1996، 28.

71- محمد فؤاد شكري، الحملة الفرنسية وظهور محمد علي، ص81.

72- أحمد زكريا الشلق، الحداثة والإمبريالية (الغزو الفرنسي إشكالية نهضة مصر)، ص51.
73- أحمد يوسف، بونابرت في الشرق الإسلامي(القاهر المقهور)، ص82/83.
74- محمد فؤاد شكري، الحملة الفرنسية وظهور محمد علي، ص76.
75- عبد الرحمن الرافعي، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، ص132.
76- الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ص51.
77- الحروب الثورية الفرنسية: هي حروب قام بها قادة الثورة الفرنسية ضد مماليك أوربا المتحالفة ضدها.
78- أمل شحاتة، 1800م إغتيال القائد العسكري الفرنسي الجنرال كليبر في قصره بالقاهرة، قناة أخبار مصر، https://www.maspero.eg، 20:30.
79- إسماعيل أحمد ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1997، ص 212.
80- أمل شحاتة، 1800م إغتيال القائد العسكري الفرنسي الجنرال كليبر في قصره بالقاهرة، قناة أخبار مصر، https://www.maspero.eg، 20:00.
81- إسماعيل أحمد ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث، ص215.
82- محمد رفعت، تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة (من سنة 1798م إلى سنة 1849م)، ص57.
83- إسماعيل أحمد ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث، ص215/216.
84- عمر الإسكندري وسليم حسن، تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل اليوم، ص119.
85- محمد رفعت، تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة (من سنة 1798م إلى سنة 1849م)، ص65.
86- أحمد زكريا الشلق، الحداثة والإمبريالية (الغزو الفرنسي إشكالية نهضة مصر)، ص105.
87- محمد رفعت، تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة (من سنة 1798م إلى سنة 1849م)، ص61.
88- محمد رفعت، تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة (من سنة 1798م إلى سنة 1849م)، ص49.
89- إسماعيل أحمد ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث، ص210/211.
90- محمد فؤاد شكري، الحملة الفرنسية وظهور محمد علي، ص77.
91- عمر الإسكندري وسليم حسن، تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل اليوم، ص119.
92- عبد الرحمن الرافعي، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، ص115.
93- أحمد زكريا الشلق، الحداثة والإمبريالية (الغزو الفرنسي إشكالية نهضة مصر)، ص105.
94- محمد رفعت، تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة (من سنة 1798م إلى سنة 1849م)، ص65.
95- المرجع نفسه، ص65/66.
96- عبد الرحمن الرافعي، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، ص 449.